علي الخطيب

# الصحافة العربية في ظل الاحتلال الصهيوني

## توطئة

الصحافة العربية الوطنية في فلسطين المحتلة تختلف كثيرا عنها في اي مكان اخر وتحت اية ظروف احتوائية تسلطا واحتلالا ،بل تكاد تتميز بتلك الاشكال من المعاناة التي فلما جوبهت بها اية صحافة في العالم ، لعدة اعتبارات ووقائع لا يحس بها الا من عاشها، او خاض غمارها في معركة مستمرة تنتزع الحرير من الشوك ، وسيف الارهاب الفاشم مصلت فوق رأسها .

ومن حيث التوقيت ـ بشكل عام ـ في صدورها تنقسم الصحف العربية الفلسطينية( الصادرة باللغة العربية ) الى قسمين :

الاول : ما كان منها قبل احتلال عام ١٩٤٨ ( زمن الانتداب البريطاني ) واستمر بعضها في الصدور بعده ، او انشئت في ظله، سواء في القطاعين الفلسطينيين المحتل صهيونيا او الملحق بالضم اردنيا .

الثاني : ما صدر بعد الاحتلال الاخير عام ١٩٦٧ .

وفي الحالين يمكن القول ان هذه الصحف بقسميها تتفرع بدورها الى ثلاثة فروع : وطني ملتزم .. وتجاري انتهازي .. واحتلالي ليس فيه من العروبة الا اللغة العربية التي يصدر بها .

ومن حيث الانتماء او الخط السياسي يمكن تصنيف هذه الصحف على الشكل التالي :

١ ـ صحف البلاط ، التي تصدر بالعربية وتنطق بلسان الحزب الحاكم منفردا في ( المباي ) سابقا ومؤتلفا في التجمع ( المعراخ ) حاليا وتسير في سياستها على نهج من الموالاة المنحاز والموجه .

٢ ـ صحف المعارضة ، وهي اما يمينية متطرفة تنضح بالحقد والتعنصرية او معتدلة نسبيا وتدعي الاشتراكية واليسار الجديد او شيوعية تحارب العنصرية والتمييز العنصري والتوسع والشوفينية .

٣ ـ صحف يومية وطنية عربية مستقلة .

٤ ـ صحف يومية عربية مشبوهة الموارد والاتصالات وتغلب عليها الانتهازية والتلون .

٥ ـ مجلات ( رسمية ) شهرية وفصلية ـ دينية واجتماعية وزراعية .. الخ .

٦ ـ مجلات طائفية او مؤسسات خيرية وانسانية تعطي السياسة جانبا محدودا .

٧ ـ مجلات ونشرات طالبية وتكتلات حزبية صغيرة مختلفة .

٨ ـ مجلات موسمية مختلفة الاهداف .

٩ ـ نشرات سرية .

## الصحف والمجلات العربية الفلسطينية او الصادرة باللغة العربية

لما كان يعنينا من بين هذه الجميات تلك الصحف ذات الاثر والتاثير ولها الصبغة السياسية فاننا نورد تاليا اهم المجموعات والنماذج لنعطي الصورة الشاملة عنها :

### القسم الاول ـ صحف الاحتلال الاول (١٩٤٨ ) :

١ ـ صحف دار الاتحاد ـ حيفا

أ ـ جريدة الاتحاد ـ لسان الحزب الشيوعي الاسرائيلي ( القائمة الشيوعية الجديدة ـ راكاح ) وتصدر مرتين في الاسبوع يوم الثلاثاء والجمعة ومحررها المسؤول النائب في الكنيست توفيق الطيبي ويشرف على تحريرها نخبة من اقطاب الحزب السياسيين والادباء منهم: اميل حبيبي ، واميل توما ، وعلي عاشور ، وسالم جبران ، وسميح القاسم ، وعصام عباسي ، وصليبا خميس .

في اول صدورها عام ١٩٤٤ كانت تنطق بلسان ( عصبة التحرر الوطني ) حيث لم يكن الحزب الشيوعي معروفا في ذلك الحين وكان الاسم يتارجح احيانا بين عصبة التحرر الوطني وانصار السلم الى ان استقر الامر بعد ١٩٤٨ على اسم ( الحزب الشيوعي الاسرائيلي ) وبعد الانقسام الذي وقع في هذا الحزب بانفصال جماعة ( ماكي ) عام ١٩٦٥ اصبح اسم الحزب القائمة الشيوعية الجديدة ـ راكاح .

بغض النظر عن انتمائها للشيوعية الامية وسياستها القائمة على الاعتراف بكيان الصهاينة وبما يسمى بالقومية اليهودية وبقبول تنفيذ القرارين رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ والذهاب بالفلسطينيين الى مؤتمر جنيف واقامة دولة فلسطينية والدعوة الى التعايش والتفاهم بين( الشعبين العربي واليهودي ) .. تظل « الاتحاد » قاعدة صلبة للنضال الوطني في مرحلة من الفراغ القاتل والغياب الجماهيري المحتد ، فقد كان لها الفضل طيلة مدة صدورها في توعية الجماهير المناهضة التوسع

والتمييز العنصري والامبريالية والرأسمالية وفي كشف مؤتمرات الصهاينة وفضح اطماعهم ومؤامراتهم ، الامر الذي تعرضت من جرائه الى ما لا يحصى من وسائل الضغط والارهاب والعنف والملاحقة بالسجن او الاعتقال الاداري او فرض الاقامة الجبرية واثبات الوجود، سواء ضد محرريها والبارزين المناضلين في الحزب او في توزيعها واحكام الطوق بالتعتيم على انباتها ، وتعريض قرائها او من هي في حوزتهم الى الاهانة وكانها نوع محظور ومن المخدرات .

وبعد الاحتلال الثاني ١٩٦٧ منع الشيوعيون من دخول المناطق المحتلة اكثر من ثلاثة اشهر ثم سمح لبعضهم بموجب اذونات زيارة محدودة ومراقبة كما حظر توزيع الصحيفة او بيعها في الضفة الغربية وقطاع غزة بأمر من الحاكم العسكري العام يمنع تداولها ( توزيعها ) او حيازتها مع فرض عقوبات مشددة على من يخالف ذلك ( امر عسكري تموز ١٩٦٧ ).

ويرجع سر قوة هذه الصحيفة الى انها ممثلة في البرلمان ( الكنيست ) بثلاثة نواب هم ( ماير فلنر وتوفيق الطيبي وتوفيق زياد ) والى انها الصحيفة الوحيدة التي بقيت صامدة في الساحة بحيث استقطبت اهتمام الجماهير العربية الفلسطينية رغم الحملات الحكومية ( المخابرات الداخلية ـ شين بيت ) والصحفية والاذاعة وكافة الاجهزة القمعية والاعلامية الاخرى .. الى جانب فضل آخر انها كانت مدرسة برز على ساحتها كثير من الكتاب والادباء والشعراء العرب الذين وجدوا فيها متنفسهم الوحيد ، حين اغلقت الابواب في وجوههم من الصحف والمجلات الاخرى .

ب ـ مجلة الجديد ، مجلة شهرية للثقافة والادب والفن كانت في البدء ١٩٥١ ملحقا ادبيا للاتحاد ثم تحولت بعد عامين الى مجلة شهرية واسعة الانتشار تجمع بين السياسة والادب وتضاهي خير المجلات الادبية ذات الامكانات الكبيرة في العالم العربي .

ج ـ مجلة الغد ، واهتمامها ينصب على تثقيف الناشئة الشيوعية بحيث تعتبر لسان الشبيبة الشيوعية في فلسطين وخارجها وقد اعيد صدورها بشكل ثابت عام ١٩٥٤ وتصدر نصف شهرية بحجم « آخر ساعة » المصرية .

د ـ مجلة الدرب ، مجلة فصلية تصدر مرة كل ثلاثة اشهر وتعنى بشؤون الحزب العقائدية الشيوعية .

## ٢ ـ صحف ومجلات اليسار والمعتدلين

ا ـ صوت الشعب : لسان الحزب الشيوعي اليهودي صدرت عام ١٩٦٧ في اعقاب الانفصال الحاد بين جماعة ( راكاح ) و ( ماكي ) والاخير بقيادة موشيه سنيه وشمويل ميكونس وتعتبر نشرة اسبوعية اكثر منها صحيفة لانها في الاصل موجهة الى اليهود النازحين من الديار العربية . وقلة من القراء العرب في يافا والرملة ولا تصدر بانتظام وترسل احيانا في البريد الى بعض العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة بهدف الاشتراك فيها لكن احدا لم يشترك فيها فانقطع ارسالها لهم ، اما طريقة معرفة الاسماء العربية التي ترسل اليهم فتؤخذ من دليل الهاتف لكل من الضفة والقطاع .

ب ـ مجلة المرصاد : تصدر اسبوعيا عن الحزب العمالي الموحد ( المابام ) المؤتلف في التجمع الحكومي ( المعراخ ) وهذا الحزب يدعي اليسار والاعتدال والاشتراكية وكان العرب يمثلون بعضو واحد في البرلمان ، وقد صدرت المجلة عام ١٩٥١ ويشرف على تحريرها ابراهيم شباط يساعده المحرر محمد وتد .. وتنقل الى حد محدود خط صحيفة الحزب اليومية ( علهمشمار ) وتحاول في الوسط العربي منافسة صحف الاتحاد بتبني القضايا العربية لكنها خسرت المعركة وبات امرها مكشوفا لانها مجرد غطاء دعائي لما يمارسه الحزب فعليا داخل الائتلاف الحكومي الكبير .

ج ـ مجلة هذا العالم : هي الطبعة العربية عن اختها الاسبوعية ( هاعولام هازيه ) يصدرها عضو البرلمان السابق يوري افنيري صاحب نظرية ( الصهيونية الجديدة ) واثر الخلاف الذي نشب بينه وبين زميله شالوم كوهين انقسم الحزب الى شطرين وسيطر المحرر نعيم جلعاوي بالاتفاق مع كوهين على المجلة التي تصدر بالعربية . وبعد ان صدرت عام ١٩٦٥ بشكل اسبوعي منتظم صارت تصدر حسب التساهيل وفقدت الكثيرين من قرائها بعد ان كان يقبل عليها بعضهم للاطلاع على الفضائح الصهيونية الحاكمة ، لا سيما فضائح الجنرال دايان الجنسية وامثاله من الوزراء وانفض من حولها الكتاب العرب بعد ان اخذت نهجا معاديا للتطلعات الفلسطينية كما اثر الانقسام داخل الكتلة الحزبية عليها فلم يعد يقرأها الا اليهود العرب وخاصة يهود العراق .

## ٣ ـ مجلات موسمية

وهي مجلات قليلة تصدر في مواسم وظروف معينة لكنها سرعان ما تتوقف اما لعجز في التمويل او انصراف القراء عنها ، مثل مجلة ( المصور ) الاسبوعية وكذلك مجلة ( الاخبار ) ومنها ما توقف قبل عام ١٩٦٧ او بعد ذلك التاريخ او منعت من الصدور مثل (الارض) ١٩٥٦ والفجر ١٩٥٨ وافاق ١٩٦٨ والمهماز .

## ٤ ـ مجلات رسمية

وهي مجلات تعنى بالشؤون الطائفية وتصدر من دوائر هذه الشؤون في وزارة الاديان الصهيونية وتصدر فصليا ( مرة كل ثلاثة اشهر ) وهي ثلاث مجلات : مجلة الاخبار الاسلامية ١٩٥٨ ومجلة الاخبار الدرزية ١٩٥٨ ومجلة الاخبار المسيحية ١٩٧٤ وكان يشرف عليها يعقوب يهوشع ثم استبدل بصهيوني اخر يساعده بعض العرب المختصين بهذه الشؤون او المحسوبين عليها . ومع ان مهمتها الاولى تتعلق بالشؤون الدينية وقرارات المحاكم الشرعية والكنائسية استثنافا ، فانها تحشوها باخبار حكومية موجهة ذات طابع سياسي في دعاية واضحة للسلطات .

## ٥ ـ مجلات طائفية

منها مجلة ( البشرى ) التي كانت وما زالت تصدر منذ عام ١٩٣٥ وتعنى بشؤون الطائفة الاحمدية في حيفا وعكا وبعض الجليل ، وهي محدودة التوزيع .. ومجلة ( الرائد ) تنطق بلسان الطائفة الانجيلية المسيحية في حيفا ، وكانت في السابق تحمل اسم ( الاخبار الكنسية ) وبعد ان هيمن بعض رجال الهستدروت عليها ومنهم النائب السابق عن المابام يوسف خميس اخذت تنهج في سياستها خطا قريبا من خط المابام .. ومنها مجلة ( السلام والخير ) التي كانت تصدر عن حراسة الاراضي المقدسة ( اللاتين ) وتوقفت طويلا لكنها عادت عام ١٩٧٣ بشكل محدود ، مع اخت لها كاثوليكية جديدة اسمها (الصخرة) عام ١٩٧٤ .

اما اشهر هذه المجلات الطائفية واوسعها انتشارا ونفوذا فهي مجلة ( الرابطة ) التي تصدر شهريا في مدينة الناصرة باشراف الروم الكاثوليك وكان المطران جيورجيوس حكيم ( بطريرك الكاثوليك حاليا ) قد اصدرها في مطلع عام ١٩٤٤ وكانت متطرفة وطنية تدافع عن حقوق العرب ضد المصادرة لاراضيهم او الاستملاكات او الضرائب الباهظة واصبحت في الخمسينات والستينات منبرا للكتاب والشعراء الوطنيين وتعرضت كثيرا الى حملات صهيونية حاقدة ، وقد طوليت اكثر من مرة باغلاقها ، ويشرف على اصدارها اليوم الاب نقتنائل شحادة وتعنى ايضا بالشؤون الادبية والكنيسة وتوزع مجانا .

## ٦ ـ صحف ومجلات ( الهستدروت )

من بين تعدد السلطات في الكيان الصهيوني تعتبر الهستدروت ( اتحاد نقابات العمال العامة ) السلطة الاوسع نفوذا في الكيان ، فهنالك : الحكومة ، والبرلمان والوكالة اليهودية وحكومة العسكر ( الجيش ) التي تشد جميعا في النهاية نحو هذه المؤسسة الاساس والمنطلق : وتضم ( شكلا ) دائرة اسمها الدائرة العربية لا حول لها ولا طول ومن شؤون النشر والدعاية توجد لديها ما تسمى بدار النشر العربية في تل ابيب .

١ ـ تصدر عن الهستدروت عدة صحف ومجلات ونشرات بالعربية نكتفي بسرد اسماء بعضها لانه خارج عن موضوعنا السياسي مثل: اليوم لاولادنا ، والسندباد ( للاطفال ) وصدى التربية ( تربوية ) وصوت الشبيبة ( الشبيبة العاملة والمتعلمة ) وكالة المراة ( للنساء العربيات ) والتعاون ( الجمعيات التعاونية والعمال ) واخيرا مجلة ( الهدف ) وتنحصر توزيعا في اوساط الموظفين العرب بالهستدروت والحكومة ولها لون سياسي دعائي موجه ، مليء بالاكاذيب والتزييف .

٢ ـ صحيفة اليوم : يومية صدرت في تل ابيب عام ١٩٤٨ لتعبر السلطة عبرها عن سمومها في الوسط العربي الفلسطيني المثل باربع صفحات من حجم صغير هي اقرب الى النشرة منها الى الصحيفة وبست صفحات او ثمان يوم الجمعة ( العدد الاسبوعي ) وتوزع مجانا في كثير من الاحيان وبطريقة الاشتراك الجبري للموظفين العرب والسلطات المحلية والبلدية والمخاتير ، والغرض منها صرف العرب عن مطالعة صحيفة الاتحاد الشيوعية في حيفا . ولما كانت قداوجدت تمرير مخططات الاحتلال الصهيوني فقد أغلع الناس عن مطالعتها ولم يصدقوا يوما شيئا مما تحتويه من اضاليل وكذب . حتى بلغ الامر بالنواب العرب الملحقين بالحزب الحاكم الى المطالبة عدة مرات باغلاقها او استبدالها .

وحين وقع الاحتلال الثاني ١٩٦٧ وتوسعت رقعة الاحتلال ، أراد الاحتلال توسيع المهمة الدعائية بصحيفة اكبر حجما واغزر تضليلا بما يتفق والوضع الجديد وبعد حوالي الثلاثة اشهر توقفت اليوم عن الصدور نهائيا .

## القسم الثاني ـ صحف الاحتلال عام ١٩٦٧ :

١ ـ الانباء : صدرت عام ١٩٦٨ ويراس تحريرها المحامي اليهودي العراقي يعقوب خزمه وتصدر عن ( الهستدروت ) بديلا عن غيرالمأسوف عليها ( اليوم ) وهي صحيفة يومية بست صفحات . اما عدد الجمعة فهو بثماني صفحات وفيها زوايا متعددة للاداب والرياضة والعمال ومختلف القطاعات الاخرى ، ويشارك في تحريرها بعض الكتاب العرب من عملاء الاحتلال واحيانا يستكتبون بان يوعز اليهم بالكتابة في مواضيع معينة ترسم لهم عناصرها وخطوطها العريضة او ان يوضع اسمهم عليها دون علمهم كما حدث كثيرا . واسماء هؤلاء العملاء معروفة ويطلق عليهم في الوطن المحتل لقب ( اصحاب الليرة ) واشهرهم : محمد ابو شلباية وفوزي الشنطي وعبدالوهاب زاهده وابراهيم دعيبس وسني البيطار .. ويلاحظ بان معظم الكتاب والصحفيين الذين يكتبون في هذه الصحيفة الاحتلالية هم من موظفي الحكومة الاردنية وخاصة وزارة الاعلام ووكالة الانباء الاردنية وما زالوا يتقاضون رواتبهم من عمان رغم انهم يعملون في الانباء .

والانباء تعتبر النسخة العربية لكل من دافار العبرية والجيروسالم بوست الانجليزية ويمكن اجمال اهدافها فيما يلي :

ا ـ فتح الباب امام اي صحفي او كاتب عربي حاقد او انهزامي ليكتب في هذا المجال ما يريد .

ب ـ التشكيك في الامة العربية ، وحدة او قوة ، ودعوة الفلسطينيين لاخذ زمام امرهم بيدهم .

ج ـ تشديد الحملة بشكل خاص على انظمة عربية بعينها مثل العراق وسوريا والجزائر وليبيا واليمن الديمقراطية ومصر الناصرية .

د ـ الدعوة الى التعايش الزائف بين العرب والصهاينة .

هـ ـ الدفاع عن ممارسات السلطة الفاشمة بسيل من الاكاذيب والاضاليل .

٢ ـ مجلة الشرق : وهي مجلة شهرية ملحقة بجريدة الانباء تصدر شهريا وتعنى بشؤون الادب خاصة ما تقارب منه بالادب العبري وخطها السياسي لا يخرج عن خط الهستدروت العام والانباء الام . وتوزيعها محدود وتفرض على المعلمين العرب وتتعاون مع مجلة تصدر بالعبرية اسمها ( كيشت ) .

٣ ـ مجلة الهدى : مجلة شهرية تعنى بشؤون بني معروف (الدروز) وتتصف بصفة دينية واجتماعية ادبية ، غير ان المسؤولين فيها وخاصة كمال القاسم يخضعونها لاغراض السلطة السياسية بحيث احتج على موادها الكثير من الكتاب والادباء الدروز وتاتي ضمن مخطط العدو لاقتلاع بني معروف العرب الافحاح من عروبتهم واعطائهم صفة طائفية خاصة وصبغة عرقية كاذبة .

٤ ـ نشرة رابطة الطلاب العرب في الجامعات الصهيونية : بعد ان تعرض الطلاب العرب الى المزيد من هضم حقوقهم وارهابهم والتمييز العنصري ضدهم وقد صدرت هذه النشرة بشكل غير منتظم اعتبارا من عام ١٩٧٤ ويسمونها احيانا ( صحيفة الحائط ) وان كان بعضها قد سبق هذا التاريخ مثل ( صفحة جديدة ) التي تنطق بالعربية لاتحاد الطلاب الجامعيين منذ عام ١٩٦٦ .

٥ ـ الجريدة الرسمية ( الوقائع الرسمية ) وتضم الاوامر والانظمة والمراسيم الصادرة عن الحكم العسكري في الضفة الغربية ومثلها وقائع رسمية اخرى خاصة بقطاع غزة وهي الاوامر والانظمة التي تسير عليها المحاكم الفاشية العسكرية .

٦ ـ مجلة شهرية تصدر عن ضباط شؤون المناطق ( الدائرة المحتلة ) تحمل مختلف النشاطات التي تقوم بها دوائر الحكم العسكري والبلديات خاصة ، وتنطوي على دعاية مباشرة للسلطات بما تسميه من انجازات في الضفة والقطاع فضلا عن نشرة زراعية خاصة واخرى تعنى بالجمعيات التعاونية وشؤون العمل والعمال والتدريب المهني وقد صدر العدد الاول من ( العمال والتعاونيات ) في شهر مارس ١٩٧٦ .

٧ ـ مجلة ( فلسطين الطبية ) : صدرت في رام الله عام ١٩٧٢ من قبل احد الصيادلة العرب ومع انها تحمل صفتها المهنية فقط ، فقد طلب الى صاحبها احمد السيد تغيير اسمها اي حذف كلمة ( فلسطين ) فلم يقبل مما دعاها للتوقف .

٨ ـ مجلة البيادر : مجلة جديدة تعنى بشؤون الادب والفكر صدر عددها الاول في اذار ( مارس ) ١٩٧٦ ولا يعرف بعد شيء عن سياستها او اسماء القيمين عليها .

٩ ـ مجلة طائفية جديدة ( شباط ـ فبراير ١٩٧٦ ) تعنى بشؤون الطائفة السامرية في نابلس وحولون ويشرف عليها سكرتير الطائفة رضوان السامري وتصدر باللغتين العربية والعبرية .

١٠ ـ مجلة المسرح : صدرت في كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٧٥ وصاحب الامتياز هو يحيي عبد ربه وتعنى بشؤون المسرح المحلي والعربي والعالمي .

١١ ـ نشرة الوان : وهي مجلة موسمية صغيرة تعمل في حقل الاعلانات وصاحبها يوسف نصار يعتبر موظفا في صحيفة القدس وقد صدرت عام ١٩٧٢ وتوزيعها محصور في القدس العربية فقط .

## القسم الثالث ـ الصحف والنشرات السرية :

١ ـ صحيفة الوطن : وهي شهرية تقريبا وتصدر باربع صفحات صغيرة وتنطق بلسان الحزب الشيوعي الاردني ثم تغيرالاسم

الى الحزب الشيوعي الفلسطيني بعد عام ١٩٧٤ ( أي بعد مؤتمر القمة السابع في الرباط ) وقد توقفت اكثر من ستة اشهر بسبب اعتقال الكثير من تشيلي الحزب في الضفة الغربية وتوزع سرا بين اعضاء الحزب واصدقائه .

٢ ـ صحيفة اتحاد الطلبة : وهي نشرة على ( استانسل )محدودة الانتشار وتوزع سرا على الطلبة الشيوعيين واصدقائهم .

٣ ـ نشرة ( لجنة التوجيه الوطني ) صدرت اول مرة عام ١٩٦٨ وعاشت عاما واحدا ثم توقفت عن الصدور نهائيا وكذلك الامر في قطاع غزة حيث صدرت نشرة سرية اخرى من العناصر الوطنية القيادية في غزة لم تنشر غير عامين .

٤ ـ منشورات لفصائل الثورة وخاصة لحركة التحرير الوطني الفلسطيني ( فتح ) والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

٥ ـ صحيفة ( فلسطين ) وهي بحجم الوطن الشيوعية وقد صدر منها بضعة اعداد باسم الجبهة الوطنية .

التوزيع المحدود المحفوف بالمخاطر لهذه النشرات السرية أبقى اثارها وفعاليتها ضمن نطاق ضيق قد يتناقله البعض همسا مع الاخرين ولا يستطيع احد الاحتفاظ بها او نقلها من مكان لاخر الا بصعوبة ومغامرة . وهي من حيث الهدف تدعو جميعها الى وحدة الصف الفلسطيني والنضال ضد الاحتلال وكشف مؤمرات الامريكان وحلفائهم في الكيان الصهيوني والنظام الاردني والزعامات التقليدية الضالعة مع الاحتلال والعناصر العميلة خاصة تلك التي تبيع الارض او تسمسر عليها .

## القسم الرابع ـ الصحف العربية في القدس :

قبل التطرق الى الصحف اليومية العربية الثلاث في القدس : الشعب والفجر والقدس نشير الى صحيفتين اسبوعيتين هما :

١ ـ البشير : وقد صدرت بتصريح من الحاكم العسكري في الضفة الغربية وصاحبها رئيس الغرفة التجارية السابق في بيت لحم ابراهيم حنضل ،في عام ١٩٧١ . ولما لم يكن ينافسها اسبوعيا صحف اخرى ، فقد دأبت على الصدور يوم السبت حيث لا تصدر الصحف الاخرى لا ( القدس ) ولا ( الانباء ) الصهيونية ، غير ان خطها المتلون الانتهازي جعل الناس يقلعون عن مطالعتها رويدا الى ان اجهز صاحبها عليها باغلاقها بعد ان انكشف امر ارتباطه بوزارة الاعلام الاردنية وتقاضيه مبلغا شهريا واثر التهديدات التي وجهت اليه من العناصر الوطنية وبعض الفصائل الفدائية العاملة بالداخل فتوقفت نهائيا في الثلث الاول من عام ١٩٧٥ وقد بلغ الامر قبول مستكتبين تعمان مع تلقي تعليمات من ( دائرة شؤون الوطن المحتل بعمان ) فيما تجب معالجته او مهاجمته .

٢ ـ صوت الجماهير ـ اصدرها اسبوعية العميل المعروف محمد ابو شلباية بتمويل مبدئي من رشاد الشوا والشيخ الجعبري وعزيز شحادة وتخفيض في سعر الورق والطباعة من جريدة ( القدس )وقد صدرت منها حوالي عشرة اعداد في صيف عام ١٩٧٣ وكانت بلدية القدس وجريدة الانباء تدعمها بشكل مفضوح ، والغاية من صدورها مهاجمة القوى الوطنية والفدائيين والثورة الفلسطينية واستعداء السلطة على الاقلام الوطنية الشرقية مع الدعوة المشبوهة الى ميثاق لاقامة دويلة مسخ بالتفاهم مع الاحتلال الصهيوني والدعوة للتعايش بين الشعبين، كما بذل جهده في هذه الاعداد للتحامل والتطاول على الاتحاد السوفييتي والدول العربية التقدمية وعلى الصحافة الوطنية ( الشعب والفجر والاتحاد ) . ولما وجد صاحبها ومن يموله انها تموء في القمة منبوذة وصارت اعدادها تباع بالكيلو اوقف ممولوه الدفع فوقفت هي عن الصدور .

اما الصحف اليومية الثلاث ووفقا لترتيب صدورها فهي :

١ ـ القدس : لصاحبها محمود ابو الزلف الذي كان مترجما في جريدة ( الدفاع ) ثم شريكا في ( الجهاد ) وبسبب قانون تنظيم الصحافة الذي عمل له وصفي التل ونفذ عام ١٩٦٧ قبل سقوط الضفة الغربية بشهرين تقريبا ) لقد جرى توحيد صحيفتي ( فلسطين والمنار ) في ( الدستور ) على ان تصدر في عمان وصحيفتي ( الدفاع والجهاد ) في ( القدس ) على ان تصدر في القدس . صدرت في فراغ الصحف العربية حيث لم يكن في السوق غير صحيفة (الانباء) الصهيونية وتلبية لدعوة دايان في رام الله بوجوب صدور صحف عربية للاراضي المحتلة وبترتيب مع وزارة الخارجية الصهيونية وبمساعدة مالية مباشرة من بلدية القدس ووزارة الدفاع بواسطة المساعد الاداري للحاكم العسكري العام ( داود فرحي ) وبتنسيق مع جهات حكومية عليا في الاردن وتشجيع من دعاة الدويلة الفلسطينية في ظل الاحتلال تم ترخيصها من وزارة الداخلية ( متصرف القدس ليفي ) وصدرت عام ١٩٦٨ اي بعد صدور ( الانباء ) ببضعة اشهر .

لقد كان موقف هذه الصحيفة وخطها السياسي المذبذب سيئا الى ان بلغ الامر بالعرب ان يفضلوا عليها ( الانباء ) الصهيونية فقد اخذت هذه الصحيفة خطا خبيثا ملؤه التشكيك بالامة العربية والدعوة السافرة لامريكا . وكانت افتتاحيتها والمانشيتات الرئيسية موضع الاستهجان من القراء ذلك انها تلعب بعواطفهم في حرب نفسية قذرة فيوما تدعو للتفاؤل واخر للتشاؤم وتدس السم الصهيوني ـ الامبريالي ـ الرجعي في دسم الكلمات الجوفاء المسولة وكانت الوحيدة التي ترك لها خيار ( الرقابة الذاتية ) فضلا عن مرابطة كبار رجال المخابرات الصهيونية ليليا في دارها حيث يتغاطون الخمرة ويلعبون القمار مع عدد من العملاء الاثرياء . وقد مكنت سلطة الاحتلال صاحبها من الاستيلاء على البناية وآلات الطباعة رغم انف شريكيه سليم الشريف ومحمود يعيش وما زالت محاكم الاحتلال لم تبت في قضية وضع يده بالقوة على البناية .

ولما كانت سياسيا تلبس لكل حالة لبوسها بغريزة المنافق والمتاجر ، فقد صارت في وضع مالي ضخم حيث انحصرت اعلانات الحكم العسكري ( وطباعة النماذج والكراسات العسكرية فيها ) واعلانات بلدية القدس ( اصدرت ذات مرة في عام ١٩٧٤ عددا خاصا للدعاية لتيدي كوليك رئيس بلدية القدس في المعركة الانتخابية ) الى جانب معونة شهرية من الحكومة الاردنية الامر الذي دعا احد عشر محررا وموظفا فيها الى تقديم استقالة جماعية خرجوا منها دونما تعويض او مكافأة .

تصدر يوميا بست صفحات على ورق جيد وطباعة انيقة وفي يومي الجمعة والسبت تصدر بثماني صفحات وهي الصحيفة الوحيدة التي خالفت القانون ( المطبوعات ، والعمال ) في انها تصدر الاسبوع كاملا دون ان تمنح محرريها وعمالها وموظفيها يوم العطلة الرسمي .

٢ ـ الفجر : صدرت اسبوعية عام ١٩٧٢ لصاحبها ورئيس تحريرها المرحوم يوسف نصري نصر ( الذي اختطف وقتل ليلة السادس من شباط ـ فبراير ـ ١٩٧٤ ) وفي عام ١٩٧٣ صدرت نصف اسبوعية ( يومي الاربعاء والسبت ) ثم صدرت يومية في اوائل صيف ١٩٧٤ وقد اشرف على تحريرها اكثر من واحد منهم : جميل حمد ، ومحمد الطيراوي واخرهم بشير البرغوثي بالتعاون مع اقرباء يوسف نصر وهما : حنا سنيورا ومنيا نصار .

اما سياسة الجريدة منذ صدورها حتى مقتل صاحبها فقد كانت مهاجمة النظام في الاردن وبعض الزعامات التقليدية المحسوبة على عمان ، وممارسات الاحتلال التعسفية .وبسبب الضغوط الصهيونية ومحاولات اغلاق الصحيفة بحجة ( غياب ) صاحب الامتياز فقد خففت من غلوائها السابق ، وهي تدعو لمنظمة التحرير الفلسطينية وتتعاطف مع الحزب الشيوعي الفلسطيني وراكاح الاسرائيلي وتتصدى

بقوة الى محاولات الاستيطان والتوسع ومصادرة الاراضي والاستيطان الصهيونيـــة واعتقال المناضلين وتعذيبهم في سجـون الاحتلال ودهليز مخابـراته ومعتقلاتـه .

٣ ـ الشعب : صدرت في ٢٣ تموز ١٩٧٢ واتخذت منذ اليـوم الاول لصدورهـا خطـا وطنيـا واضحا وملتـزما فهي صوت فلسطيني وقومـي عربي وحدوي تحارب في جبهات اربع : الصهيونية احتلالا ووجودا ، والامبرياليـة ، والرجعية العربية وفي طليعتهـا الحكم في الاردن والزعامات التقليدية الضالعـة مع عمـان او المتواطئة مـع الاحتلال ، وكانت اول من فضح اللقاءات السريـة في شتى المـدن بالضفة والقطاع ، ومقاطعة اي حوار مـع السلطـات كمـا شنـت حملة شديدة وجريئة ضد باعـة الارض والسماسرة والمتعاونيـن مـع السلطات وشركاء للصهاينة في بعض الشركات التي اقيمت بعد الاحتلال براسمـال مشترك في كل من الضفـة والقطاع .

وازاء هذا الاتزان والوضع اصبحت من حيث الانتشار اوسـع الصحف رغم صدورهـا باربع صفحات على ورق سيء وقد خاضت مع الزعـامات التقليدية صاحبة النفوذ والسطوة ومع الرقابة العسكرية والمخابرات الصهيونيـة والحكم العسكري معارك كثيرة كما كانت اول صحيفـة تفضح زيف الديمقراطية المزعومة حيث كانت تترك فراغا ابيض ممـا يحذفه الرقيب او تعتذر للقراء عـن المقالة الافتتاحية اوالزاوية المحببة من الجماهير ( صباح الخير ) اذا منعت او تاجلت او مسخت.

وتعرضت هذه الصحيفـة الى انواع شتى من الارهاب وحـرب الاعصاب ، فقـد اقتحمت المخابرات الصهيونية مكاتب الصحيفـــة وبعثروا محتوياتهـا وقلبوا عاليهـا سافلهـا لعلهم يجـدون شيئـا ممنوعـا يمكنهـم من اغلاقها ، ومرة اخـرى احرقوا هـذه المكـاتب بمـا فيهـا استوديـو التصويـر وجهاز ( رويتر ) للاخبار وبكل مـا فيهـا من ارشيف واثاث .

ولمـا لم تستطع السلطات معها صبرا ، فقـد طالبت الصحف الصهيونيـة جميعهـا بوضع حد لهذه الصحيفـة المتمردة المحرضـة ، وطلب تيدي كوليك رئيس البلديـة في يوم عطلة رئيس الوزراء ان يامر باتخاذ اجراء حاسم وعاجل ضد رئيس التحرير المسؤول عن سياسـة الجريدة ، وكـان ان جرب خطف علي الخطيب رئيس التحرير ليلا ، ثم ابعاده مـع ثلاثة اخريـن من الوطـن المحتل الى الحدود اللبنانية يوم الرابع من تشريـن الثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٤ .

ويبدو ان ضغوطـا مكثفـة قد جرت مؤخرا فدفعت صاحبهـا محمود يعيش الى انتهاجه خطـا اكثـر اعتدالا ممـا اضطـر معـه المحررون الرئيسيون الاربعة الى ترك الصحيفة في ايلول ( سبتمبر ) احتجاجا على التغيير المفاجيء ، لا سيمـا وان خط الجريدة الاساسي كـان الرفض التام لكافـة الحلول السلميـة والدعوة الصريحة الـى اعادة الامور الى مـا كانت عليه قبل قيـام الكيان الصهيوني واعادة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم وممتلكاتهم في نفس الوقت الذي يعود فيه المهاجرون الصهاينـة الى البلدان التي وفدوا منها واقامة الدولة الفلسطينيـة باكثريتهـا العربيـة على كامل التراب الفلسطيني في ظل نظام ديمقراطي . وبرغم الاعتدال الطارىء فقـد ظلت عقدة السلطات القائمة ، فقد قامت ولاول مرة بتعطيلها مرتين فـي غضـون شهريـن بحجـة التحريض والخروج على اوامر الرقابة .

## الصحافـة والاحتـلال

كثيرا ما طرح هذا السؤال في العالم العربي : كيف يمكن لصحف تصدر بتصريح من الاحتلال ان تقوى على مناهضته ؟ هذا اذا لم نقـل انهـا قـد تخدم اغراضه ؟؟

وللرد على هذا السؤال بشقيه ، تبرز الحقائق التالية :

١ ـ هنالك فرق بيـن صحف تكون موجودة قبل الاحتـــلال فتستمر بالصدور بعده وفي ظلاله ، علمـا بانه في هـذه الحالة ايضا لا بد للسلطات المحتلة من ان توافق على هذه الاستمرارية ايضا .. وبيـن صحف تصدر بترخيص من الاحتلال ، فامـا ان تسير وفـــق مخططاته واهدافه بلسان عربي مبيـن او ان تتمـرد عليه وعلى تطلعاته فتصبح اشد نكرا عليه من اية صحيفة قبله .

٢ ـ ثبت بالتجربة والوقائع انه بقدر مـا كسب الاحتلال فـي واحدة هي صحيفـة ( القدس ) وبقدر مـا فشل في اثنتين اغلقهمـا ( البشير وصوت الجماهير ) بقدر مـا خسر وتاثر مع اثنتيـن اخريين هما ( الشعب والفجر ) والحصيلة في هذه الحالة كانت ربحا للخط الوطني وصفعـة للاحتلال من حيث لا يحتسب .

٣ ـ واذا ما اخذنا بعين الاعتبار ان فراغا في الصحف العربية كان موجودا وكان على المرء من جرائه ان يتساءل : هل تترك الساحـة فارغـة لصحيفـة العدو الوحيدة ( الانباء ) ام ان الضرورة تحتم العمل على اصدار صحف اخرى ان لم تملأ الفـراغ كامـلا فعلى الاقـل لا تتركـه وحيدا يسرح فيه ويمرح ؟ ومع ان صحيفة القدس التي كـان يرجى منهـا ان تسـد الفراغ او بعضه بوصفهـا اول صحيفة تصـدر بعـد الاحتلال قـد سقطت من اليوم الاول في برائنه ، فذلـك لان صاحبهـا فاسـد اصلا وما بني على الفاسـد فهـو فاسد .. غير ان صحيفتي الشعب والفجر اثبتتا صحـة النظرية الاخرى القائلـة بالافادة مـا امكـن من هذه الفرصـة طالمـا انها لا تخدم العدو واغراضه وبالتالي تتصدى له على نحـو ازعجه وبات يصرخ منه .

٤ ـ اما ما يسمى بالحريـة الصحفيـة فهي مجرد خط اعلامـي كاذب . واذا توفرت هذه الحرية او بعضها لصحف العدو فانها تكـاد تكـون مفقودة بالنسبة لصحف مـا بعد احتلال ١٩٦٧ لكنه تحت هـذا الزعم ( البالوني ) يجـد الصحفي الوطني الفلسطيني نفسه بين امرين: انتزاع ما يمكـن انتزاعه بممارسـة صادقـة ذكية اولا ، وبين تفجير هذا البالون الهوائي في وجه التخرصات الاعلامية المعادية القائلـة بتوفر اجواء الحرية وفضح ذلك الادعاء ثانيا : وكلاهمـا تحقق فعلا في مرحلـة من اهم مراحل الصراع بالكلمة الحرة الجريئة وسـط التهريج الاعلامي المضاد ، وفي غمرة اشرس حرب نفسيـة كان يوجهها العدو بمهارة وتخصص وتركيز .

وهنـا لا بد من الاتيـان على غايات العدو من وراء السمـاح باصدار الصحف العربية مع ملاحظة انه بعد صدور ( الشعب ) ومـا اكتوى العدو من صدورهـا لـم يعـد يمنح اي ترخيص جديد رغـم طلبات عدة تقدم بهـا الكثيرون والدرس الذي اخذه فلا ينساه . اما غايات العدو فهـي :

١ ـ اظهار الاحتلال بانه ( ليبرالي ) في نظـر العرب المحتلـة اراضيهم او فـي نظـر العرب في الخارج ، من ان هنالك صحفاعربية تهاجم الاحتلال او تعترض على اعماله .

٢ ـ امتصاص نقمة الجماهير المكبوتة ضد الاحتلال في انها تجد لهـا متنفسـا عبر مـا تطلع به الصحف المحليـة العربيـة من انعكاسات لهـذه الاحاسيس والمشاعر .

٣ ـ الطموح الى ايجاد قاسم مشترك او ما يسمونه ( بلغـة مشتركة ) عبر هذه الصحف لما يزعمونه من تعايش لا بد منه بين الجلاد والضحيـة كمـا يرى العدو في هذه المقارعـة نوعا من ( الحوار ) الذي اذا لـم يثمر آنيـا فهو مجد وناجع مرحليا .

٤ ـ خلق وجوه واقلام جديدة وفق مخطط العدو في محاربـة الاجيـال وتصارع الافكار بغيـة ان تكـون هذه مـطية اكثر سلاسة وانقيادا من تلك ، مع تمرير افكاره على ظهر هذه الوجوه او تلك الاقلام.

٥ ـ وضع العربي في ظل الاحتلال في ظروف فكرية مشوشة عما يجري في العالم العربي في الخارج الذي هو امل الضائعين في الاحتلال وبالتالي تزويـر ارادة الجماهير الرازحة تحت الاحتلال من انهـا تنشـد السلام والخلاص او على الاقل ايجاد حالة من عدم الثقـة وسوء الظن بيـن الجانبين للافراد مستقبلا بمن هم بين ايـدي

الاحتلال او جعلهم ورقة مساومة او ضاغطة على اخوانهم في الخارج .

٦ ـ وبوسائل العدو المختلفة والمتطورة في الترهيب والترغيب كان يريد من الصحافة العربية في الداخل ان تكون بوقا من ابواقه الكثيرة داخليا وخارجيا . فمما لم يقدر العدو على الجهر به لانه مكشوف تخيل ان الابواق الجديدة ستترجم بشكل او آخر نقله او هضمه بالسنة عربية وكأن الاحتلال المجرم بريء مما يقولون او ينقلون .

## وسائل الارهاب الصهيوني ضد الصحف والصحفيين

من سياسة العدو تجاه الصحف العربية تبرز ظاهرة خبيثة ماكرة ، ففي الدول العربية مثلا يكفي لحسم الامر مع صحيفة ما ان توقفها او تلغي امتيازها وتغلقها ، لكن العدو يلجأ الى وسيلة اكثر دهاء ، فهو لا يقبل المساس بوجود الصحيفة وصدورها انما الى كل محرر فيها بدءا من الصغير حتى الكبير ، فتعمل على ارهابه حتى ينحني خوفا او يعتزل تخلصا ،او ان تغريه ماديا فيبدأ في تغيير نهجه تدريجيا ، او ان تعرض عليه عملا حكوميا او في احدى الشركات براتب ضخم وبذلك تخلص من الاحراج بالتخلص من المحررين لا التخلص من الصحيفة نفسها .. حتى اذا لم يجد هذا السبيل ولا ذلك لجأت الى آخر الدواء وهو الكي فاما القتل ( كما جرى مع يوسف نصري نصر ) او الابعاد ( كما وقع مع علي الخطيب ) او السجن والاعتقال او الطرد ( كما حدث مع محمود شقير وخليل جريس توما ومحمد عبدالسلام وصلاح سالم وراجع غنيم واخرين غيرهم علما بانهم من الكتاب والصحفيين وليسوا محررين او صحفيين منتظمين ).

ممارسات العدو ضد الصحافة والصحفيين والكتاب والمثقفين بشكل خاص يمكن ادراجها تاليا :

١ ـ مطاردة الصحفي او الكاتب او الشاعر ومراقبته وفرض الاقامة الجبرية عليه من الغسق حتى الفجر او اثبات الوجود يوميا مرتين لدى اقرب مخفر شرطة ، او تقييد مكان اقامته بحيث لا يجوز له الانتقال من بلد الى اخر الا باذن من السلطات .

٢ ـ التضييق عليه في سبل العيش فان كان موظفا طردوه او نقلوه الى مكان قصي بعيد عن العمران . ولا يقف الامر عند الصحفي بنفسه وشخصه ، فهم قد يلاحقون اخاه او ابنه او اية مؤسسة له مصلحة فيها لكي يستسلم او يفقد بعض موارده كعامل ضغط وتدجين او ليسقط فريسة سهلة للمخابرات . ذلك ان معظم الصحفيين الصهاينة يعملون بالمخابرات العامة .

٣ ـ الدس على الصحفي المتمرد بحيث يجري استجوابه واستدعاؤه للمخابرات اكثر من مرة اما للاساءة الى سمعته في كثرة ترداده على المخابرات او لارهابه وايهامه بان لديهم من الوقائع ضده ما يكفي للزج به في السجن .

٤ ـ القيام بحملات صحفية ضد صحيفة معينة والتحريض عليها او التهجم باقلام مأجورة ضد رؤساء التحرير وسياسة الصحيفة الوطنية وافتعال الحملات والمعارك الجانبية لاشغال هؤلاء في متاهات ومسارب تلهيه عن تصديه الفعال للاحتلال واعماله . وقد تعرض محررو ( الشعب والفجر ) الى حملات اعلامية عنيفة عبر صحف العدو واذاعته وتلفزيونه بل بلغ الامر بهم ذات يوم ان وصموا رئيس تحرير الشعب بانه لاسامي عبر التلفزيون ، وهذه من اخطر التهم عند الصهاينة الامر الذي يعرض المتهم بها الى القتل من عصاباتهم ومجرميهم ، فضلا عن استكتابهم لبعض المرتزقة والعملاء للتطاول على هؤلاء المحررين كما كان يفعل ابو شلباية وزاهدة ودعيبس وزمرة اخرى من هذا الطراز .

٥ ـ التصفية الجسدية للصحفيين الفلسطينيين كما وقع مع الشهداء غسان كنفاني وكمال ناصر ويوسف نصري نصر ووائل زعيتر والهمشري والكبيسي وفهمي او محاولة ذلك كما جرى للدكتور انيس الصايغ ( بمركز الابحاث ) وبسام ابو الشريف في (الهدف) .

٦ ـ الضغط على اصحاب الصحف من حيث حجب الاعلانات الرسمية عنها او عدم ادخال اعدادها للسجون والمعتقلات اسوة بصحيفتي الانباء والقدس ، او تهديد الوكلاء في المدن والقرى بالامتناع من بيعها ، واجبار الباعة على عدم حملها ومنع اشتراك البلديات والهيئات والمؤسسات التي تشرف عليها السلطة بها .

٧ ـ تهديد عمال المطبعة او اعتقالهم للحد من فعالية سير العمل بالصحيفة واحيانا تضطرهم للعمل في صحف اخرى بدافع مادي يبلغ ضعفي او ثلاثة اضعاف الراتب الذي يتقاضاه من الصحيفة الوطنية واحيانا اكثر من ذلك ، ومن ثم ايجاد تجمع من عمال الطباعة جرى الحاقه بالهستدروت ( اتحاد نقابات العمال الصهيونية العامة ) بحيث صار عمال الطباعة يطالبون بساعات عمل اضافية واجور باهظة . واستتكافات كيدية من شأنها كلها تعطيل العمل او ارهاق الصحيفة بما لا تتحمله من نفقات تفوق قدرتها وامكانياتها .

٨ ـ حجب الاخبار الرسمية من دوائر الحكم العسكري عن هذه الصحف وامتناع الناطق الرسمي عن توضيح اي نبأ او التعليق عليه الى جانب منع مندوبي الصحف الوطنية من جلب الصحف والمجلات العربية من الاردن عبر الجسور كما يتيسر الامر لصحيفة القدس التي تصلها هذه الصحف اسبوعيا ومن ذلك سبق لها ونقص في الصحف الاخرى .

٩ ـ تعيش صحيفتا الشعب والفجر ضائقة مالية خانقة في ظل غلاء فاحش وتخفيض مستمر لسعر الليرة وانعدام اية موارد او معونات من الخارج ، الامر الذي جعل المحررين العاملين بها وخاصة في الشعب يتقاضون رواتب زهيدة جدا تبلغ في اعالي سلمها ما يساوي ٣٠٠ ليرة لبنانية او الاربعين دينارا اردنيا فقط ، مما يساعد العدو على ان يهجر بعض ذوي العوائل من العمل الى صحيفة اخرى او مجال اخر او ان يهاجر خارج البلاد طلبا للكفاف من العيش.

## الرقابة العسكرية

ولعل سهم الرقابة في جعبة الاحتلال من اخبث الاسهم المسمومة كسلاح يشهر ضد كل كلمة في الصحيفة ، وفيما يلي موجز عن تجربة هذه الرقابة في كيان كان يزعم ان الصحافة لديه حرة ومكفولة ، بل كان ينكر وجود الرقابة اصلا حتى صدرت صحيفة الشعب فتضحت هذه الفرية الكبرى :

١ ـ قبل صدور ( الشعب ) كانت الرقابة ( ناعمة ) بحيث يتفق رئيس التحرير او سكرتير التحرير مع ضابط الشؤون الصحفية بالحاكم العسكري على استشارته في اي خبر قد يكون محظورا ، فاما ان يقنعه بارجائه او يفض الطرف عنه او يقبل بنشره مع التعديل الذي يراه اطمئنانا الى التفاهم بينهما فيما يجوز او لا يجوز ، وكان ذلك محددا فقط في الانباء العسكرية وحالات الامن ( اعمال الفدائيين ) واي خبر يتعلق بتحركات الجيش او وحداته او مواقعه واية انباء ( يعتقد رئيس التحرير ) انها قد تسيء الى سمعة الاحتلال والكيان .. واحيانا كان الناطق الرسمي باسم الشرطة او الكيان او الجيش هو الذي يجري الاتصال اللازم او يدلي بالتوضيح اللازم .

٢ ـ بعد صدور ( الشعب ) بشهرين زادت الرقابة قبضتها في ان تتولى الاطلاع على المقالات ( التعليقات السياسية ) للنظر في اجازتها الى جانب المحظورات السالفة الذكر ، غير انها فرضت اخيرا كرقابة عسكرية مباشرة في اعقاب عملية ميونخ والهجوم على مطار بيروت ومقتل القادة الثلاثة في لبنان ، فطلب الى صحيفة ( الشعب ) بشكل خاص والى ( الفجر ) بشكل اخص ارسال كل المواد الى الرقيب العسكري .. ثم ازداد الامر حدة في وجوب تزويد الرقيب باعلانات الوفاة والاعلانات العادية واخبار وكالات الانباء ( المراقبة

اصلا من الدولة ) حتى الكلمات المتقاطعة لم تسلم من الرقابة .

٣ ـ الرقابة العسكرية موجودة منذ قيام الكيان ، لكن العمل بها كان محدودا يقتصر على بعض الصحف ( كالاتحاد ) في حيفا وفي بعض الحالات فقط ، وهي تستند الى انظمة الطوارىء ـ المطبوعات ـ من قانون الدفاع الاستثنائي الذي سنه الانتداب البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ وما زال ساري المفعول على العرب فقط ، وتوجد في الحالات الطارئة ثلاثة مكاتب للرقابةرئيسية في القدس وتل ابيب وحيفا برئاسة مقدم ( كولونيل ) من الجيش يحسن اللغة العربية ويتبع شعبة المخابرات العسكرية ويجري تعيينه من قبل وزير الدفاع .. وهو في القدس الكولونيل ( المقدم ) يهود اكاتس يساعده ضباط عسكريون معظمهم من يهود مصر او العراق وفي كل ليلة يكون احدهم ( مناوبا ) حتى الثانية والنصف بعد منتصف الليل .

٤ ـ واجراءات الرقابة من حيث الحظر تقوم على (١) تأجيل البت في احدى المواد الى يوم آخر لاستشارة الرؤساء (٢) منع المادة من النشر كليا (٣) حذف او شطب بعض الخبر او التعليق (٤) الاجازة اي السماح بالنشر .. ويجب ان ترسل المادة من نسختين مطبوعتين ، يحتفظ الرقيب العسكري بنسخة ويرسل الى الصحيفة النسخة الاولى ممهورة بخاتم الرقابة . كما يصار الى تدقيقها بعد النشر خشية وقوع مخالفة بين ورقة الرقيب وما تنشره الصحيفة .

٥ ـ كثيرا ما يهدد الرقيب بسوق الصحيفة المخالفة الى المحكمة ( هنالك محكمة خاصة بشؤون الصحافة ) لكن الصحف الوطنية التي تعرف قانون المطبوعات الفلسطيني تعلم بان الاشياء التي يرى الرقيب فيها حظرا ليس عليها نص وانما هو مزاج الرقيب واجتهاده ، الامر الذي لا يقدر معه على احالة الصحيفة للمحاكمة مع ما في ذلك من فضيحة للكيان ودعاواه الكاذبة .

٦ ـ الرقابة مزاجية من جهة ومنفتحة او منغلقة ضد بعض الصحف من جهة اخرى ، وفقا لخط تلك الصحيفة السياسي ، ففي حين تكون صحيفة القدس قد اتمت طباعتها وبدات في رزم وشحن اعدادها للبلدان حوالي العاشرة او الحادية عشرة ليلا تكون مواد ( الشعب ) او ( الفجر ) ما زالت عند الرقيب لم يجب عليها بعد سلبا او ايجابا مما يؤدي الى تاخير صدور الصحيفة ساعات لها اهميتها من حيث التواجد في السوق . وقد فرض على الصحف الوطنية ان ترسل موادها في ثلاث وجبات الاولى بانتهاء السابعة والنصف مساء ، والثانية في العاشرة والنصف والثالثة حتى الاولى صباحا . وهنا يكمن لؤم الرقيب في انه لا يبلغ الصحيفة بالنتائج الا بعد الواحدة حيث تاتي المواد وبعضها مؤجل او ممنوع او محذوف حيث يضطر المحررون وعمال الطباعة الى رفع الاسطر المحذوفة او الاستعاضة عن مواد كاملة باخرى غيرها سبق اجازتها او لملء الفراغ باعلانات غير مطلوبة والقصد هو الارتباك والازعاج والتاخير مع ما في هذه المعاملة من تمييز واضح .

٧ ـ كثيرا ما حظر على الصحف الوطنية نشر ترجمات عن الصحف العبرية نفسها بحجة ان ما يكتب في الصحف العبرية هو للقاريء الصهيوني ، اما ما ينشر في العربية فهو للعرب . وعليه لا يجوز نقل مواد ابيحت لديهم فيمنع القاريء العربي من مطالعتها لان فيها اشياء تسيء الى سمعة السلطات او تكشف عن فظائعهم وجرائمهم . وهنا يتضح التمييز باجلى معانيه بحيث بان كل شيء مميزا حتى وسائل النشر والترجمة جعلوا لها حدودا بين ما يجوز للصهيوني اليهودي قوله ، وما لا يجوز للعربي نقله ..

كذلك تمنع الصحف الوطنية من ترجمة كتب او مجلات او صحف اجنبية اجيز دخولها للبلاد وتباع في المكتبات ويرفض الرقيب اجازتها حتى ولو كانت قد ترجمت في صحف عربية اخرى ، وقد اقامت احدى دور النشر في تل ابيب قضية ضد ( الشعب ) لانها ترجمت بعض فصول من كتاب صهيوني .

٨ ـ في حالة الاعتراض على هذه المعاملة القاسية او انتقاد التمييز بين صحيفة واخرى او سؤال الرقيب خطيا عن الاسباب التي دعته الى شطب هذه المادة مع انها منشورة في صحيفةصهيونية، او حظر هذه المادة عى ( الشعب ) مثلا في حين اجيزت في نفس اليوم ( للانباء ) او ( القدس ) لا يجيب ، واذا تكرر الاستفسار اجاب بان الرقابة حرة لا تسال عما تفعل وتلك صلاحيتها تمنحها لمن تشاء وتحرمها على من تشاء .. واذا تكررت الشكوى والاحتجاج اجابوه : اذهب للمحكمة واشكونا .. وهم بذلك يحرضون الصحف الوطنية او يدفعونها لان ترفع الدعوى لدى محكمة العدل العليا بالقدس وقد تربحها على الارجح لكن المحررين المسؤولين العرب يفوتون هذه الفرصة على العدو الذي يريد ان يوقعهم او يدفعهم للاعتراف بضم القدس العربية على اساس الاعتراف بمحكمة العدو والمقاضاة امامها . وكان هذا الامر واضحا في المعارك الكثيرة التي كانت تخوضها ( الشعب ) مع الرقابة والسلطات لكنها لم تنجرف الى ما كانوا يريدون ويدبرون .

٩ ـ كان الحظر يشمل بعض الايات القرآنية التي فيها كلمة الجهاد او القتال او دفع الاذى والظلم ، كما كانت تشطب ابيات الشعر في ( حكمة اليوم ) لبعض الشعراء لمجرد انهم شعراءفلسطينيون، وتمنع كلمة ( فدائي ) ويأتي النص بنعت الفدائي ( بالخرب ) او ( الارهابي ) فلا يجد المحرر الا ان يستعيض عنها ( بالمسلح ) كذلك في الوفيات والنعي تمنع كلمة ( شهيد ) وكل ما ينتمي الى الثورة الفلسطينية بصلة .. اما الصور التي تاتي بها الوكالات من الخارج او من الداخل فيجب عرضها على الرقيب وتمنع عن الصحف الوطنية ، في حين تظهر في صحفهم في اليوم التالي كما يمنعون الصور بالصحيفة الوطنية من اخذ اية صور لاي حادث فدائي او حتى الدخول الى المكان الذي وقع الحادث فيه .

## خاتمة

باعتراف الصحافة الصهيونية نفسها ، ان الصحف الوطنية في الوطن المحتل كانت صدى لاذاعات المنظمات ، فمن لم يستمع اليها من السكان طالعها في اليوم الثاني اما في ( الشعب ) او في(الفجر).

وحقيقة اخرى ان المنشورات السرية التي كان يصعب توزيعها كانت على فترات وبالقطاعي تظهر في الصحف الوطنية نبذا هنا ونبذا هناك واصبحت المنشورات السرية علنية على اعمدة هاتين الصحيفتين دون ان يدري العدو او يدرك .

اما جدار الخوف الذي اقامه العدو بعد هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ فطوق بهالعرب فيالداخل من ان جيشهم لا يقهر وان ذراعهم الطويلة تستطيع الوصول الى اي بلد عربي، فقد كان للصحافة والافلام الوطنية في فلسطين المحتلة فضل تهديم ذلك الجدار وفكعقدة الخوف من الناس لتنطلق الاصوات من عقيرتها مدوية وتصبح الكلمة كالرصاصة القاتلة في ميدان معركة المصير الواسع والعريض .

ورغم الرقيب ورغم الارهاب ، فقد امكن ( للشعب ) كمثال في عددها الصادر يوم ٢٠ آب ( اغسطس ) ان تكتب للرقيب وهي تغمزه وللسلطة وهي تفضحها العبارة التالية :

« هواؤنا تحت المراقبة ، والات التسجيل تحت الجفن ،وتحت اللسان ، وفوق الاذن .. لكننا سنمضي على الدرب ، ولن يستطيعوا معنا صبرا » .

هذا فيض من فيض نحتفظ بباقي اسراره للمستقبل خشية ان يستفيد العدو منه او يتلافاه ، لكن ثمة حقيقة تبقى هي ان التعامل مع العدو لا يتم الا بالقدرة على انتزاع الحق منه انتزاعا، وان القلم الجريء كالمنشور والملصق وكالرصاصة تظل خطرا يحسب العدو له الف حساب ، فلمعركة المصير القومي العربي عدة آفاق وعدة ميادين وساحات .